رسالة

مفتاح الجنة لا إله إلا الله

أو

مفتاح دار السلام

تأليف العبد الغريب المهاجر ، وفي حرم الله المجاور

أبو عبد الكريم وأبو عبد الرحمن محمد سلطان

ابن أبي عبد الله محمد أورون المعصومي الخجندي

ثم المكي المدرس في المسجد الحرام ومدرسة دار الحديث المكية

رزقه الله تعالى الحسنى وزيادة

آمين

« طبع بنفقة المؤلف ومساعدة تلامذته المهاجرين »

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل مفتاح الجنة لاإله إلا الله ، وشرط فى مادتها الإخلاص واليقين إلى منتهاه ، وجعل لهذا المفتاح أسناناً معلومة وسمى المجموع ديناً ، وقد أكمل هذا الدين وأتمه تماماً ، فمن ألحق به ما لم يكن فى عصر التنزيل فقد كذب الله ورسوله وارتكب إثماً كبيراً . وقد خسر فى الدارين خسراناً مبيناً ، فما ابتدعه مردود عليه وإن ظنه حسناً وأحسنه صنعاً ، فيا خسارة المبتدع المغرور المفتون ، الذى قد غره هواه ونفسه ، أو شيطانه وشيخه ، فإنه قد ضيع عمره ، فيا خسارة من هذا حاله ، فإنه سيطرد عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكوثر » ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقهم إذاً : فسحقاً سحقاً .

وميزان هذا المفتاح ومعياره إنما هو ما جاء به سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كتاب الله تعالى القرآن ، وسنة رسول الله الصحيحة الثابتة بالعيان فى دواوين أهل العلم والعرفان . وأما أهل البدعة فقد زادوا على ماجاء به رسول الله أشياء عقيدة وكماً وكيفاً ، باستحسان عقولهم القاصرة بل الفاسدة ، أو قياساتهم الكاسدة الباطلة ، فبعضهم كبر المفتاح وضخمه ، وبعضهم زاده أسناناً أو عوجها بحيث صار المفتاح لايوافق القفل ، فلا ينفتح القفل ولا الباب أصلا ، وبعضه قد ينفتح بغاية التعب والمعالجات الكثيرة ، فلو أبقى المفتاح والقفل على ما هو عليه لانفتح القفل من أول الأمر ، كما ورد فى شأن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة دار السلام دخولا أوليا بلا عتاب ولا حساب . ولكن المبتدعين سوّلت لهم أنفسهم ، واعتقدوا كل ما رأوه حسناً ديناً وثواباً ، والحال أن الدين مايدان « أى يجازى » به الإنسان ، ويطلب أجره من مالك يوم الدين . والأجر والثواب عند مالك يوم الدين لا عند أحد ممن سواه أصلا .

وحيث ثبت أن الأمر هكذا ، فليس لأحد أن يدين ديناً أو يشرع شرعاً ، ويقول هـذا فرض أو سنة أو مستحب ، أو له فضل وثواب ، إلا إذا ثبت وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن رسول الله لاينطق عن هواه ، بل عن وحى رب العالمين ، الذى هو مالك يوم الدين ، فمن أثبت عبادة أو طاعة أو ذكراً لم ترد تلك العبادات أو الأذكار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك اعتقد أن فى ذلك أجراً وثواباً ، فقد أتى بدعوى بلا برهان ، وذا باطل قطعاً ، بل إنه شرك أو بهتان ، لأنه تشريع بلا سلطان ، كما هو غير خفى على كل من آتاه الله تعالى عقلا سليما وفهما مستقيما . ولذا حذرنا الله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكذا خلفاؤه الراشدون رضى الله عنهم عن الابتداع فى الدين . وأوعد المبتدعين وعيداً شديداً ، عصمنا الله تعالى عن الشرك وعن البدع فى الدين .

سبب دخول البدع والشرك فى الدين

اعلم أن سبب دخول البـدع فى الدين من وجهين : أحدهما القياس وحسن الظن فـكثير من الصالحين حسنوا ظنهم فى أشياء ، فاخترعوا أشياء ، وقاسوا أشـياء بأشياء والحال أن القياس لا مدخل له فى الأمور الدينيـة التعبدية ، لأن مبنى العبادات على الاتباع لا على الابتداع ، فأخطأوا فى قياسهم وحسن ظنهم ، وهم معذورون فى ذلك لحسن قصدهم ، والمظنون أنهم إذا نبهوا على ذلك رجعوا وتابوا ، كما هو مروى عن كثيرمنهم. كما قاسوا الله تعالى بالملوك ، وقاسوا ماعند الله بما عند الملوك، فقالوابالوسائل والشفعاء ، فأخطأوا خطئاً فاحشاً ، ثم تبعهم من جاءوا بعدهم فزادوا الطين بلة ، وأكثرهم غير واقفين على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغير عالمين بمعانى القرآن ومقاصده ، وكذا الأحاديث الصحيحة ، وغالبهم لايقدر أن يميز بين الأحاديث الصحيحة الثابتة ، وبين الضعيف بل الموضوع ، فيأخذون بالضعيف والموضوع وهم لا يشعرون .

وإنما كثر مثل هـذا فى المسلمين لأن كثيراً من المشركين والمجوس من البراهمة والهنود والبوذيين ، أو اليهود والنصارى دخلوا فى دين الإسلام أفواجا ، و بعضهم كانوا علماء ماهرين فى علوم دينهم ، وحكماء متفلسفين . وكانوا إنما علموا من الإسـلام بعض الظواهر ، كبنى الاسلام على خمس إلخ . وليس لهم علم بحقيقـة ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخلطوا علومهم الأولى بالعلوم الاسلامية ، فتفلسفوا فى الامور الدينية فمزجوا ذلك بهذا ، وهم لايشعرون بقبح مافعلوا لقلة علمهم بمقاصد الشريعة بالحقيقة، فجاء من بعدهم وأخذوا بالممزوج ، وشاع ذلك وذاع ، إلى أن آل الأمر إلى ماترى من الشركيات والبدعات والضلالات والترهات وسفاسف الخيالات ، كمرابطة صورة الشيخ حين الذكر والمراقبة ، والتوجه إلى أرواح الموتى ، والعكوف على قبورهم ، والنذر لهم ، والاستمداد منهم ، وغير ذلك من الترهات « فتنبه » .

والوجه الثانى أن كثيراً من أعداء الاسلام من اليهود والنصارى والمشركين والمجوس وغيرهم لما رأوا شوكة الاسلام ودولة أهله قد زادت قوة ونمواً وظهوراً وشيوعاً ، وعجزوا عن المقاومة الظاهرية ، أدخلوا أنفسهم فى الاسلام ، وتزيوا بزى المسلمين ، وزيادة على ذلك أظهروا الزهد والتقشف والعلم والورع والتقوى ، وانتشروا فى بلاد المسلمين وساكنوهم ، فتمكنوا من أن يدخلوا فى المسلمين ما أمكنهم من الشركيات والضلالات ، وسموها طريقة وحقيقة وتصوفا و باطنا ، كاللطائف الخمس ، ومرابطة صورة الشيخ المربى ، والتوجه إلى قبره ، والنذر له والاستمداد منه ، وأنه يقدر على مالا يقدر عليه الأحياء ، لتجرد روحه عن هذا الجسد الفانى ، فصار كالسيف الصارم المشهر من الغلاف ، وإن لله تعالى عباداً من البشر ، فوض الله تعالى إليهم أمور عباده و بلاده، وهم يسمون بالأبدال والأقطاب والنجباء والأغواث وأمثالهم، وهم رجال الغيب، فمن لاذ بهم واستغاث بهم نال مطالبه ، وهم يوصلونه إلى أعلا درجات الـكمال والجمال والجلال ، ومن أنـكرهم أو أنـكر مايصدر عنهم فهو من المحرومين الهالـكين ، وإنه لايمكن لأحد أن يصل إلى الله تعالى إلا بواسطتهم ، وتسليم الأمور إليهم ، وهم كوزراء الملوك ، ومقربى السلاطين ، لايمكن لأحد أن يصل إلى الملك أو يبلغ عريضته إليه إلا

بواسطتهم فقبل الناس هذه الوساوس ، فشاعت وذاعت بين الخليقة ، فحصل الشيطان مقصده الأعظم ، ألا وهو الشرك الأكبر الذى لايغفره الله تعالى أصلا .

وأمثلة ذلك كثيرة ، قد بينها العلماء المحققون فى كتبهم ، فعليك أيها الطالب للحق بمطالعة كتب العلماء المحققين ، وتفهم مافيها ، واستعمال العقل ، وترك التقليد والتعصب لمذهب أو فرقة أو طريقة ، فإن التقليد لغير المعصوم صادر عن عمى البصيرة ولا تغتر بترهات هؤلاء وأوهامهم ، بل عليك الأخذ والعمل بكل ماجاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلن تهلك أبداً ، ولن تضل سرمداً بحول الله وقوته .

اعلم ياأخى فى الله عز وجل ، أن أسنان المفتاح قد كملت ، و بين عددها وقدرها ووزنها وشكلها كماً وكيفاً بواسطة من أنزل عليه الكتاب ، وهو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز لأحد بحال من الأحوال أن يزيد على ماجاء به النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن زاد شيئا فقد تعدى وظلم، فلهذا قد ورد التهديد الشديد والوعيد الأكيد على من يزيد فى الدين شيئا ، وإنه قد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه مردود عليه ، ولاشك أن خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، كما فى مقدمة صحيح مسلم .

وقد قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال الله عز وجل (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لايكون أحدكم مؤمنا حتى يكون هواه تابعا لما جئت به) وقال صلى الله عليه وسلم (تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما ، كتاب الله وسنتى فعضوا عليهما بالنواجذ) وقد قال صلى الله عليه وسلم (من يعش منكم بعدى، فسيرى اختلافا كثيراً ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ) وقال صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتى ثلاثا وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا واحدة ، قيل من هم يا رسول الله قال هم على ما أنا عليه وأصحابى) وغيرها من الآيات والأحاديث الصحاح والحسان .

ومما يوضح الحقيقة قوله تعالى فى سورة فصلت (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة)الآية، أى أخلصوا العمل لله ، وعملوا بطاعة الله تعالى على ماشرع الله لهم ، وتلا عمر رضى الله عنه هذه الآية على المنبر « ثم استقاموا » والله لله بطاعته ، ولم يروغوا روغان الثعالب بل أخلصوا له الدين والعمل ، والتفصيل فى التفاسير ، وكذا فى سورة الأحقاف ، وفى سورة الشورى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الآية . و إلى أن قال (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم) الآية . أى استقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل، ولا تتبع أهواء المشركين فيما اختلقوه وأحدثوه إلخ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صلوا كما رأيتمونى أصلى ، وخذوا عنى مناسككم) .

وفى سورة الزخرف (فاستمسك بالذى أوحى إليك ، إنك على صراط مستقيم و إنه [أى القرآن] لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون) أى عن القرآن ، وكيف كنتم فى العمل به والاستجابة له ، وعما يلزمكم من القيام بحقه .

قال الفقير إلى رحمة ربه القدير محمد سلطان المعصومى الخجندى ، وها أنا أذكر لك الآن ماورد من الأحاديث والآثار الصحاح من أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله . قال إمام المحدثين محمد بن اسماعيل البخارى فى كتاب الجنائز من صحيحه قيل لوهب بن منبه رحمه الله أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، و إلا لم يفتح لك .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة . وكذا رواه أبو داود ، وذكر أبو نعيم الأصفهانى فى كتابه « أحوال الموحدين » أن أسنان هذا المفتاح هى الطاعات الواجبة من القيام بطاعة الله تعالى وتأديتها ، والمفارقة لمعاصى الله تعالى ومجانبتها .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى آت من ربى فأخبرنى ـ أو قال بشرنى ـ أن من مات من أمتى لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ، قلت و إن زنى و إن سرق . قال و إن زنى و إن سرق « وفى رواية » ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك [إلا] دخل الجنة.

قال الإمام البخارى فى كتاب الإيمان من صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا . وكذا رواه مسلم وأصحاب السنن والمسانيد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الايمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الايمان) . وفى رواية مسلم بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، فمن استكملها فقد استكمل الايمان. وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى عدى بن عدى : إن الايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا ، فمن استكملها استكمل الايمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، و إن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص .

وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ومسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قالا (كان النبى صلى الله عليه وسلم بارزاً يوما للناس ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : ما الايمان . قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته و بلقائه ورسله وتؤمن بالبعث . وفى رواية مسلم (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) . قال صدقت قال أخبرنى عن الاسلام ، قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلوة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا . قال صدقت . قال فأخبرنى عن الاحسان : قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك « الحديث صحيح معروف ومشهور » .

وقد روى مسلم بسنده عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضى الله عنه ، قال قلت يا رسول الله ، قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك . قال قل آمنت بالله ثم استقم .

وروى الامام أحمد فى مسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مامن أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار ، متفق عليه كذا فى مشكاة المصابيح . قال الشارح ملا على القارى فى المرقاة : المفاتيح يعنى من قال هذه الكلمة وأدى حقها وفرائضها . فيكون الامتثال والانتهاء مندرجين تحت الشهادتين ، وقيل إن ذلك لمن قالها عند التوبة ومات على ذلك قبل أن يتمكن من الاتيان بفرض آخر ، وهذا اختيار الامام محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله تعالى .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومى حفظه الله تعالى : إن كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، كلمة جامعة كاملة مكملة لا يزاد فيها ولا ينقص ، ومضمونها انما هو ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام ، وهذا الدين كامل ومكمل كما أخبر الله تعالى عن ذلك ، والنبى صلى الله عليه وسلم كان واقفاً بعرفة فى حجة الوداع يوم الجمعة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) الآية ، فما كان ديناً فى ذلك اليوم فهو الدين إلى يوم القيامة ، وما ليس بدين فى ذلك اليوم فليس بدين أبداً ، فلهذا صارت البدعة فى الدين ضلالة ومردودة والمبتدع مفتر على ربه ومكذب إياه ، وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم (قل آمنت بالله ثم استقم) ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله خالصا من قلبه، فتنبه .

وقد روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث فى أمرنا هذا مالبس منه فهو رد « أى مردود » .

وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما بعد فإن خير

الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها . وكل بدعة ضلالة .

وحيث ان المفتاح حده معلوم وقدره مفهوم وأسنانه محدودة ، وهو كامل ومكمل، نهى الله جل جلاله عن الغلو فى الدين ، وأمر بالاقتصاد والاقتفاء . وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يشرح ويؤيد ماقلناه . وهو مارواه الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه قال جاء ثلاثة رهط الى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم . فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها ، فقالوا أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر . فقال أحدهم أما أنا فأصلى الليل أبداً . وقال الآخر أنا أصوم النهار أبداً ولا أفطر . وقال الآخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوّج أبداً . فجاء النبى صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى» .

وفى حديث العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتى كما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك ، وان بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة . قالوا من هى يا رسول الله ، قال ما أنا عليه وأصحابى . رواه الترمذى .

وعن الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله . رواه فى الموطأ .

وروى أبو داود والترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله فقد استكمل الايمان . وفى رواية الترمذى فقد استكمل إيمانه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل أمتى يدخلون الجنة إلامن أبى . قيل: ومن أبى . قال: من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى . رواه البخارى .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به . رواه فى شرح السنة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصا قط إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش ما اجتنب الكبائر ، رواه الترمذى. قال المعصومى فقد شرط لقبول هذه الكلمة ونفعها عند الله تعالى كون القائل مخلصا ومعتقدا لألوهية ربه ، وأن يجتنب الكبائر كلها ، فتدبر وتذكر وتنبه ، وفقنى الله تعالى وإياك لمرضاته .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى : يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً ، قال أبى سبعة ، ستاً فى الأرض وواحداً فى السماء . قال فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك ، قال الذى فى السماء ، قال يا حصين أما انك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك . قال فلما أسلم حصين قال يا رسول الله علمنى الكلمتين اللتين وعدتنى . فقال قل: اللهم ألهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى . رواه الترمذى وذكره الخطيب فى مشكاة المصابيح ، قال الطيبى قيل تلك الآلهة هى يغوث ويعوق ونسر واللات والعزى ومناة ، وهذه الأسماء هى أسماء رجال صالحين ، فعظمهم اتباعهم حتى جعلوهم أصنامهم وعبدوهم ، فما نفعهم اعترافهم بالإله الذى فى السماء .

قال المعصومى وكذلك مثلهم الذين يعظمون مشهد كربلاء وحسين بن على رضى الله عنهما ، أو قبر عبد القادر الجيلانى، أو قبر معين الدين الجشتى فى أجمير الهند ، أو قبر على رضى الله عنه فى بلخ، أو قبر بهاء الدين النقشبندى فى بخارى ، أو قبر قثم بن عباس رضى الله

عنهما فى سمرقند ، أو قبر أحمد اليسوى فى تركستان ، أو قبر مصلح الدين فى خجند ، أو قبر آفاق خواجه فى كاشغر ، أو قبر محي الدين ابن عربى فى دمشق ، أو مشهد رأس الحسين وقبر زينب فى القاهرة ، أو قبر أحمد البدوى فى طنطا ، أو قبر جلال الدين الرومى فى قونية ، أو غيرها من القبور التى يعظمونها ويعبدونها ، وينذرون لها ، ويتوجهون إليها ، والظن الغالب أن هؤلاء رجال صالحون من هـذه الأمة فغلوا فى محبتهم حتى عبدوهم ، وهم غير راضين بذلك البتة ، لأنهم رجال مسلمون وصالحون رحمهم الله تعالى ، فصارت كل هذه القبور كالتى ذكرها الله تعالى فى كتابه ، فلا يكون إيمان العبد صحيحاً حتى يكفر بهذه كلها ، ويؤمن بالله وحده ، وهذا هو معنى قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، فتنفى الآلهة كلها من كل الوجوه ، وتثبت الإله الحق الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فهذا التوحيد الخالص إنما هو مفتاح الجنة بلا ريب ولا شبهة ، فتفكر وتدبر قصة اللات والعزى ويغوث ويعوق وغيرها ، وراجع التفاسير المعتبرة وكتب الأحاديث الصحاح ، وأعمل عقلك تظهر لك الحقيقة ، وينكشف الغطاء ، فتعرف معنى لاإله إلا الله كما هو بفضل الله تعالى وهدايته وتوفيقه .

فقائل لا إله إلا الله يجب عليه أن يستمر عليه وعلى موجبه ، وأن لا يبطله بما ينافيه من الشرك واتخاذ الأنداد ، واعتقاد التصرف الغيبى لغير الله ، وإلا بطل ولا تبقى له منفعة ، كما يبطل سائر العبادات بالرياء ونحوه ، كما قال الله تعالى (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) الآية ، فأخبر أن صدقة المرائى والمنان باطلة لم يبق فيها منفعة له ، وكذا قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ... ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ... والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) فلا بد من الاستمرار على التوحيد وعلى كل ما يقتضيه التوحيد ، ولا بد من الكفر بالطواغيت وكل آلهة دون الله كما لا يخفى ، فمن يقول لا إله إلا الله ، ثم يقول إن الأرواح تتصرف وتمد ، أو يدعو غير الله ، أو ينذر لغير الله ، أو يخاف

غير الله ، أو يرجو غير الله غيباً ، فقد أبطل قوله لا إله إلا الله ، بل أشرك بالله شركا جلياً لا يغفره الله عز وجل فتنبه .

والأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات قد أمرونا أن نؤمن بما أتوا به ، وأن نقتدى بهم وبهداهم ، قال الله تعالى (قولوا آمنا بالله وماأنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون) (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لا نبي بعده ، ولم يبق طريق إلى الله تعالى إلا اتباع محمد صلى الله عليه عليه وسلم ، فما أمر به من العبادات أمر إيجاب أو استحباب فهو مشروع ومرغوب فيه ، وما لم يأمر به ولم يفعله فلا يقال ان هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعى ، ولايجوز أن تثبت شريعة بحديث ضعيف فضلا عن منكر أو موضوع ، أو كشف أو إلهام أو نوم أو خيال ، أو آراء الرجال ، لأن الثواب عند الله ، ولا يعلم ما عند الله ، وأن فى الأمر الفلانى ثواب الله بإعلام الله، وذلك لا يكون إلا بواسطة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واعلم أن لا إله إلا الله هى الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام، وهى كلمة التقوى التى ألزمهم (وألزمهم كلمة التقوى) وهى العروة الوثقى ، وهى التى جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ، وليس المراد قولها باللسان فقط مع الجهل بمعناها ، فان المنافقين يقولونها ، وهم تحت الكفار فى الدرك الأسفل من النار ، مع كونهم يصلون ويحجون ويطوفون ويقرؤن القرآن ويتصدقون ، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب والإذعان بها ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض ما خالفها ومعاداته ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله مخلصاً ـ وفى رواية خالصاً من قلبه ، وفى رواية صادقا من قلبه ـ دخل الجنة» . وفى حديث آخر « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله دخل الجنة » إلى غير ذلك من الاحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة .

وهذه الكلمة نفى وإثبات ، نفى الإلهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى

جبريل ومحمد عليهما السلام ، فضلا عن غيرهم من الاولياء والصالحين ، وهذه الالوهية هى التى تسميها العامة فى زماننا « السر والولاية » والإله معناه الولى الذى فيه السر . وهو الذى يسمونه « الفقير والشيخ والدرويش والقطب والولى » وذلك أنهم يظنون أن الله تعالى جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله تعالى ، فالذى يزعم أهل الشرك فى زماننا أنهم وسائط هم الذين يسميهم الاولون الآلهة . والواسطة هى الإله ، فقول المؤمن لا إله إلا الله إبطال للوسائط ، وغالب الذين غلوا فى تعظيم الاولياء وشيوخ الطرق . وأئمة آل البيت من السادة ، قد عبدوهم بدعائهم حتى فى الشدائد ، والطواف بقبورهم ، وذبح القرابين لهم ، وكانوا يجهلون أنهم بهذا قد اتخذوهم آلهة .

واعلم أن لا إله إلا الله هى الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام . فمن قالها عالماً بمعناها ، ومعتقدا إياها فقد دخل فى الاسلام ، وصار من أهل دارالسلام « الجنة » وأما من قال لا خالق إلا الله ، أو لا رازق إلا الله ، أو لا رب إلا الله ، أو لا موجود إلا الله ، أوالله موجود أو نحو ذلك فلا يكون مسلما ، ولا يكون من أهل دارالسلام ، وهذه الكلمات وإن كانت كلمات حقة ، ولكن يشترك فى القول بها سائر الناس من المشركين والمجوس والنصارى واليهود وغيرهم سوى الدهرية المادية كما يشهد القرآن بذلك . فقد ثبت بهذا التحقيق أن الذكر النافع المنجى من عذاب الله تعالى إنما هو لا إله إلا الله ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، فما يتداوله العوام ، ومن يدعى العلم والدين من الطعام ، من قولهم الله موجود ، أو لارب الا الله ، أولا خالق الا الله ، أو نحو ذلك ، فليس من خصائص دين الاسلام ، ولا من خصائص المسلمين ، بل يشترك فيه المشركون واليهود والنصارى والمجوس ، فتنبه وتدبر ولا تكن أعمى وأصم تقلد كل ناعق وناهق .

واعلم أن الكفار الذين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الايمان والتوحيد وقاتلهم وقتلهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية ، وهو أنه لايخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده ، كما قال الله تعالى فى سورة يونس

(قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله) كما فصلت و بينت هذه المسئلة حق التفصيل والتبيين فى كتابى «أوضح البرهان فى تفسير أم القرآن» فتنبه فإن هذه المسئلة عظيمة مهمة جدا ، وهى أن تعلم أن الكفار شاهدون بهذا كله ومقرون به ، ومع هذا لم يدخلهم ذلك فى الاسلام ، و لم يحرم دمائهم وأموالهم ، وسببه أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية ، وأنه لا يدعى ولا يرجى إلا لله وحده لاشريك له، ولا يستغاث بغيره ، ولا يذبح لغيره ، ولا ينذر لغيره ، لا لملك مقرب ولا نبى مرسل، فمن استغاث بغيره فقد كفر ، ومن ذبح لغيره فقد أشرك ، ومن نذر لغيره فقد أشرك ، ومن حلف بغيره فقد أشرك .

فالله الله يا إخوانى تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره ، وأسه ورأسه ، ألا وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، واعرفوا معناها ، واكفروا بالطواغيت وعادوهم ، وأبغضوا من أحبهم فإن الحب فى الله ، والبغض فى الله من الايمان ، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين .

ولا شك أن أول ما فرض الله تعالى على عباده الايمان بالله والكفر بالطاغوت (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ... ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) فصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله ، وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم ، ومعنى الايمان بالله أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه ، وتخلص كل أنواع العبادة لله وحده ، وتنفيها عن كل معبود سواه ، والطاغوت عام فى كل ما عبد من دون الله ، ورضى بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع فى غير طاعة الله و رسوله فهو طاغوت ، والعبادة الاطاعة (ألم أعهد إليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) كما فى سورة يس ، وكذا فى سورة مريم قال إبراهيم صلى الله عليه وسلم لأبيه (يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا)

فالانسان لا يكون مؤمنا بالله الا بعد الكفر بالطاغوت لقوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) .

فالجامع لعبادة الله تعالى وحده إنما هو طاعته بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وأنواع العبادة التى لاتصلح الا لله تعالى وحده : الدعاء والاستعانة والاستغاثة وذبح القربان والنذر والخوف والرجاء والتوكل والانابة والمحبة والخشية والرغبة والرهبة والتأله والركوع والسجود والخشوع والتذلل والتعظيم ، الذى هو من خصائص الألوهية فمن صرف شيئاً من هذه الأنواع لغير الله تعالى فقد أشرك بالله غيره ، والشرك فى العبادة ينقض الاسلام ، لقوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) الآية . ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار ، ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر ، أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فهذا كفر إجماعا . وقد روى الترمذى وأبو داود عن ثوبان رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لاتقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتى الأوثان).

قال ابن حجر الهيتمى فى كتابه الزواجر . والفقيه الحنفى فى تبيين المحارم ، أن من أشرك فى عبادة الله غيره أنه يكفر بالاجماع ، ويقتل ان أصر على ذلك ، كدعاء الأموات لجلب خير أو دفع ضر ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) .

وقد روى الترمذى عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه أنه قال ، خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ، وكان لقريش والمشركين شجرة خضراء عظيمة ، يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم ، ويعكفون عندها ، ويذبحون لها ، يقال لها ذات أنواط ، فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط ، كما لهم ذات انواط ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا كما قال قوم موسى لموسى عليه السلام (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) لتركبن سنن من كان قبلكم ، الحديث .

قال الامام شهاب الدين عبد الرحمن الشامى المعروف بأبى شامة فى كتابه « الباعث على إنكار البدع والحوادث » قال الامام أبو بكر الطرطوسى رحمه الله تعالى : فانظروا رحمكم الله تعالى أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ، ويعظمون من شأنها ، ويرجون البرء والشفاء من قبلها ، وينوطون بها أسلحتهم ، ويضربون عليها المسامير والخرق فهى ذات انواط فاقطعوها ، فتأمل رحمك الله تعالى هذا الكلام ، بأن ما تفعله العامة فى زماننا فى العمد والشجر والحجر والمواضع المخصوصة ، انه مثل فعل المشركين بذات أنواط ، فتبين منه ان الشرك قد حدث فى هذه الأمة من أزمنة مديدة ، فيجب على كل من قدر على إزالته إزالته ، فويل للعلماء والأمراء والقضاة القادرين على إزالته على سكوتهم .

واعلم أن الغلو فى المشايخ منهى عنه ، فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعا من الإلهية ، مثل أن يقول يا سيدى فلان انصرنى أو أغثنى أو ارزقنى أو أنا فى حسبك أو نحوها . فكل هذا شرك وضلال يستتاب و إلا قتل ، فان الله تعالى إنما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ليعبد وحده ، ولا يجعل معه إله آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى ، مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق ، أو تنزل المطر أو تنبت النبات ، و إنما كانوا يعبدونهم ، أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون (إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى) و(هؤلاء شفعاؤنا عندالله) فبعث الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه ، لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة ، ونهى عن الحلف بغير الله ، وقال من حلف بغير الله فقد أشرك ، ونهى عن تعظيم القبور ، واتخاذها مساجد ، لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان تعظيم القبور ، ولهذا اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أن من سلم على النبى صلى الله عليه وسلم حين زار قبره أنه لايتمسح بحجرته ولا يقبلها ، لأنه إنما يكون لأركان الكعبة ، فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق ، كل هذا لتحقيق التوحيد الذى هو أصل الدين ، ورأسه الذى لايقبل الله عملا إلا به ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله .

قال ابن القيم فى شرح المنازل ، والشرك هو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويغضبون لتنقص آلهتهم ومعبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا تنقص أحد رب العالمين، وقد شاهدنا هذا نحن جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده على لسانه ان قام وان قعد وان عثر وان استوحش ، وهو لاينكر ذلك ، ويرى أنه من باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ، وهكذا كان عباد الأصنام سواء ، وهـذا هو الذى أنكره الله تعالى عليهم فى القرآن وأبطله ، وأخبر أن الشفاعة كلها له ، والقرآن مملوء من أمثال هـذا ولكن أكثر الناس لايشعر بدخول الواقع تحته ، ويظنه فى قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذى يحول بين المرء وبين فهم القرآن ، كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، وهذا لأنه لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه فوقع فيه وأقره وهو لايعرف ، قيل لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه فلان لايعرف الشر ، قال ذلك أحرى أن يقع فيه ، ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم ، وهذا أصل الشرك فى العالم . فزاروهم زيارة العبادة ، وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد .

اعلم يا أخى فى الله عز وجل ، أن معنا أصلين عظيمين ، أحدهما أن لا نعبد الا الله والثانى أن لانعبده إلا بما شرع ، ولا نعبده بعبادة مبتدعة ، وهذان الأصلان هما تحقيق لشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد ، كما ذكرناه سابقا ، ولهذا قال الفقهاء : العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع ، ويدل على هـذا مافى الصحيحين أيضا عن عمر رضى الله ، أنه قبل الحجر الأسود ، وقال: والله انى لأعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك فتدبر وتفكر وتنبه ولا تكن من الغافلين .

ومن يتدبر الآيات القرآنية تبين له معنى لا إله الا الله ، وتفكر فى قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد فسرها النبى صلى الله عليه وسلم

لعدى بن حاتم رضى الله عنـه ، إنه الأخذ بقول الرجال . ولهذا قال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) فصار ذلك الأخذ عبادة لهم ، وصاروا به أربابا لهم من دون الله (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) فمن تدبر هذه الآيات وما شاكلها تبين له معنى لا إله إلا الله ، وتبين له التوحيد الذى جحده أكثر من يدعى العلم فى هذه القرون ، وقد عمت البلوى بالجهل به بعد القرون الثلاثة ، ولما وقع الغلو فى قبور أهل البيت وغيرهم ، وبنيت عليها المساجد ، وبنيت لهم المشاهد والقباب ، فاتسع الأمر ، وعظمت الفتنة فى الشرك المنافى للتوحيد لما حدث الغلو فى الأموات ، وتعظيمهم بالعبادة ، وبهذه الأمور عاد المعروف منكراً والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، نشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ، فتبين سر قوله صلى الله عليه وسلم : بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسده الناس .

وروى الترمذى وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، جفت الصحف ، ورفعت الأقلام ، واعمل لله بالشكر فى اليقين) .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليـه وسلم رأى رجلا فى يده حلقة من صفر ، فقال ماهذه ، فقال من الواهنة ، فقال : انزعها فإنها لاتزيدك إلا وهنا ، فانك لو مت وهى عليك ما أفلحت أبداً ، رواه احمـد .

ومن الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره ، والاستغاثة هى طلب الغوث وهو إزالة الشدة ، كالاستنصار طلب النصر ، والاستعانة طلب العون . فكل ماقصد به غير الله مما لايقدر عليـه الا الله كدعوات الأموات والغائبين ، فهو من الشرك الذى لايغفره الله تعالى ، قال الله تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) (ومن

أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون ، واذا حشر الناس كانوا له أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين) فأخبر الله تعالى أنه لا أضل ممن يدعو أحدا دونه كائنا من كان ، فليس لمن دعا غير الله الا الخيبة والخسران ، فلا يحصل للمشرك يوم القيامة الا نقيض قصده ، وصار المدعو للداعى عدوا فالداعى للغير فى غاية الضلال،قال الله تعالى (أمن يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء ، و يجعلكم خلفاء الأرض ، أإله مع الله قليلا ماتذكرون .

و روى الطبرانى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين ، فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه لايستغاث بى ، وانما يستغاث بالله . انما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد ، وسدا للذرائع الشرك مخافة أن يقع من أمته الاستغاثة بمن لايضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يستجيب من الأموات والغائبين والطواغيت والشياطين والأصنام وغير ذلك . وقد وقع من هذا الشرك العظيم ماعمت به البلوى ، حتى ظنوا أن الميت يسمع و ينفع ، فتركوا الاسلام والايمان رأسا ، كما ترى عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمة .

فصل مهم وتنبيه مفيد

اعلم يا أخى فى الله عز وجل ، كما أن الأقفال أشكال وأصناف ، منها ماله سن واحد ومنها ماله سنان ، ومنها ماله أسنان ، ولا ينفتح كل واحد منها الا بمفتاحها الخاص له ، فلا ينفتح أبدا ماله سن واحد بمفتاح له أسنان متعددة ، وكذا العكس،فكذا العبادات والطاعات لكل أشكال وهيئات ، بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن بيان سواء كانت فعلية أو قولية ، كهيئة الصلوة ، وان مفتاحها التكبير ، وختامها التسليم وان القراءة موضعها القيام ، والتسبيح محله الركوع والسجود ، وهكذا ، فمن أتى كما بين وفعل فقد سعد وصار من المقبولين ، ومن عكس أو زاد أو نقص فقد تعدى وظلم

وصار من المردودين ، وهكذا لها أمثلة تظهر لمن تدبر وتفكر من أولى الألباب ،فاللهم انا نسألك أن تجعلنا منهم .

ولماذا ذلك كذلك ، لأن الدين والعبادات دواء من تركيب الحكيم العليم الخبير ، الله رب السموات والأرض العزيز الحكيم ، فيجب أن يؤتى به كما أمر و بين بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أن الطبيب الحاذق من البشر بعد مايعرف الداء ، يركب له دواء مركبا من أشياء على كميات خاصة ، فيركبون الأدوية حسب الأمراض بعد معرفتها فيعالجونها بها ، فمن صادف ذلك ربما نفعه فصار سببا للعافية والسلامة ، وأما من خالف ذلك الطبيب ، أو ركب هو بنفسه أدوية بلا معرفة حقيقة خواصها وكميتها ، فربما صار سببا لهلاك نفسه ، واهلاك غيره ، فان كان الأمر هكذا ، فليعلم أن الدين والعبادات طرق وأسباب لاصلاح النفس الانسانية ، وتزكيتها من الامراض والادناس والاهوية الفاسدة ، حتى يكون صاحبها لائقا لقرب الله تعالى الخالق الحكيم ورضوانه. فطرق الدين والعبادات الصحيحة انما هى مابينه الذى خلق الخلق على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم،فمن زاد على هذا أو نقص فقد خالف الحكيم الخلاق العليم ، بتركيبه الادوية من عند نفسه ، فربما صار دواؤه داء ، وعبادته معصية وهو لايشعر ، لأن الدين قد كمل تمام الكمال ، فمن زاد شيئا فيه فقد ظن الدين ناقصا ، وهو يكمله باستحسان عقله الفاسد ، وخياله الكاسد ، فياخسارة من هذا شأنه،فنعوذ بالله من الكفر بعد الايمان ، ومن الضلال بعد العرفان .

فاذا عرفت هذا حق المعرفة ، علمت أن الذين اخترعوا الأوراد والأحزاب ، كدلائل الخيرات ، وقصيدة البردة والهمزية ، والأوراد الفتحية ، وغيرها من ورد فلان ، وحزب فلان ، وختم خواجه كان ، قد زادوا فى الدين أشياء من عند أنفسهم افتراء على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و يقولون يقول كذا كذا مرة ، من أين لهم هذا العدد ، و يقولون حزب يوم كذا وكذا ، من أين لهم تعيين هذا الشىء فى هذا اليوم ، فضلا عما فى كلامهم من الشركيات والكفريات ، وتنزيل المخلوق

منزلة الخالق ، ودعاء الأموات وطلب الحاجات من المخلوقات ، كما لايخفى على من اطلع عليها من أولى الألباب .

أما يكفيك ما ورد فى القرآن من الدعوات ، وما ثبت عن الأنبياء عليهم السلام من الأوراد ، وما صح بالأسانيد الصحيحة عن سيد الكائنات سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الأوراد الموقتة والمطلقة ، والليلية والنهارية ، فاذا لم يكفك ما كفى رسول الله وأصحابه وتابعيهم بإحسان عليهم الصلوات والتسليمات ، فلا كفاك الله أبدا . فتنبه وتدبر ولا تكن من الغافلين الغاوين .

فالحاصل أن معنى لا اله الا الله ، لامعبود بحق إلا الله ، كقوله تعالى (أمر أن لاتعبدوا الا اياه) و (إياك نعبد وإياك نستعين) فلا بد من معرفة معنى الإله ، ومعنى العبادة . فاعلم أن الإله من أله أى سكن ، يقال ألهت إلى فلان أى سكنت إليه ، فالعقول السليمة لاتسكن إلا إلى ذكره ، والأرواح السعيدة لاتفرح إلا بمعرفته ، لأنه الكامل على الاطلاق دون غيره ، قال الله جل ذكره (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وقيل أله الفصيل اذا ولع بأمه ، والمعنى أن العباد مألوهون ومولعون بالتضرع اليه فى كل الأحوال ، وقيل من أله الرجل يأله اذا فزع من أمر نزل به ، فألهه أى أجاره فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه لقوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه . وقيل من أله الرجل اذا تعبد ، وتأله اذا تنسك. وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما (ويذرك وآلهتك) أى عبادتك ، والإله هو الذى تؤلهه القلوب محبة وإجلالا ، وانابة واكراما وتعظيما وذلا وخضوعا وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله الا لله وحده ، فمن أشرك مخلوقا فى شىء من هذه الأمور التى هى من خصائص الألوهية كان ذلك قدحا فى اخلاصه فى قول لا اله الا الله ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك ، كما حققه العلامة ابن القيم فى كتابه «البدائع» وابن تيمية فى كثير من كتبه ، فمعنى لا اله الا الله ، لامعبود بحق الا الله ، لأن الإله هو المعبود المطاع ، فإن الإله هو المألوه الذى يستحق أن يعبد ، وكونه يستحق هو بما اتصف من الصفات التى تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب ، المخضوع له غاية

الخضوع ، والإله هو المحبوب المعبود الذى تؤلهه القلوب بحبها وتخضع له ، وتذل له ، وتخافه وترجوه وتنيب اليه فى شدائدها ، وتدعوه فى مهماتها ، وتتوكل عليه فى مصالحها وتلجأ اليه وتطمئن بذكره ، وتسكن الى حبه ، وليس ذلك الا الله وحده ، ولهذا كانت كلمة لا إله إلا الله أصدق الكلام ، وكان أهلها أهل الله وحزبه ، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته ، فإذا صححت صح بها كل مسألة وحال وذوق ، واذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له فى علومه وأعماله ، وهذا هو الكلام عند أهل السنة جميعهم ، فيا سعادة من هدى الى معرفة حقيقة دين الاسلام واتبعه .

ولا اله الا الله هى كلمة الاخلاص المنافية للشرك ، وكلمة التقوى التى تقى قائلها من الشرك بالله ، ولكن لا تنفع قائلها عند الله وفى دار الآخرة الا بشروط : الأول العلم بمعناها نفيا واثباتا . والثانى اليقين ، وهو كمال العلم بها المنافى للشرك . الثالث الاخلاص المنافى للشرك ، فمن يقول لا اله الا الله ولكن لايفهم معناها ولا يعمل به فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا ، أو كمثل العرض بلا ذات ، أو كمثل اللون بلا طعم ولا رائحة طيبة ، أو كمثل بندقية أو مدفع بلا سهم ولا رصاص ، أو كمثل سيارة أو طيارة بلا بنزين .. لأن الله عز وجل قال (فاعلم أنه لا اله الا الله) فالعلم مقدم على القول والعمل فمدار الأمر على القلب ، فان كان القلب متعلقا ومفتونا بغير الله تعالى فذلك القلب خراب وأبتر ، ولا يحصل شىء من مجرد الاعمال الصورية ، والعبادات الرسومية بلا سلامة القلب ، بل لابد أولا من سلامة القلب، ثم الأعمال الصالحة كما وردت بلا زيادة ولا نقصان .

واعلم أنه قد تقرر عند الحكماء أن المريض مادام مريضا لاينفعه غذاء أصلا ، ولو كان من ألذ الأطعمة وأحسنها ، بل لابد أولا من ازالة المرض اما بالمسهل ، واما بالكى ، واما بالقطع ، واما بغير ذلك من العلاجات ، ثم الاجتهاد فى تحصيل القوة بالأغذية المناسبة ، فكذلك الانسان مادام مبتلى بمرض القلب بالشرك ونحوه لاتنفعه عبادة وطاعة أصلا ، ولهذا أجمعوا على أن التخلية مقدمة على التحلية ، وهذا هو معنى لا اله الا الله ، تنفى أولا الآلهة الأنفسية والافاقية ، ثم تثبت الإله الواحد الأحد

الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً .

يا أخى فى الله سبحانه الحمد لله قد عرفت معنى لا إله إلا الله ، فاعرف الآن معنى العبادة معرفة صحيحة ، لتكون من الموحدين الفالحين بحول الله وفضله ، والعبادة غاية الخضوع فلا يخضع إلا لله ، والعبادة الطاعة على كمالها فلا يطاع إلا الله ، والعبادة هى الطاعة مع غاية الخضوع ، وأن لفظ العباد مأخوذ من العبادة فتكثر إضافته إلى الله تعالى ، وأما لفظ العبيد فمأخوذ من العبودية بمعنى الرق فتكثر إضافته إلى غير الله تعالى ، فلهذا قال العلماء إن العبادة لا تكون فى اللغة إلا لله تعالى ، وتدل الأساليب الصحيحة ، واستعمال العربى الصراح على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ، ناشئ عن استشعار القلوب عظمة المعبود ، وللعبادة صور كثيرة فى كل دين من الأديان ، شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور بالسلطان الالهى الأعلى ، الذى هو روح العبادة وسرها قال ابن عباس رضى الله عنهما (إياك نعبد) يعنى إياك نوحد ونخاف ونرجوك يا ربنا لا غيرك ، والعبادة عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف ، والعبادة الاطاعة فكل من أخذ بقول الغير بلا دليل فقد عبده ، ومن أطاع العلماء والامراء فى تحريم ماأحل الله ، أوتحليل ما حرمه الله فقد اتخذهم أرباباً .

وقد روى الإمام أبو داود والترمذى وغيرهما عن عدى بن حاتم رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية ، فقلت انهم ما كانوا يعبدونهم ، قال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرمه الله فتحلونه فقلت بلى ، قال فتلك عبادتهم إياهم » .

وقال الله تعالى فى وصف عباده المؤمنين (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين) فالرغبة والرهبة والخشوع وغير ذلك من أنواع العبادة كالمحبة والدعاء والتوكل ونحو ذلك مختص بالله تعالى ، لا يصلح منه شىء لغيره تعالى كائنا من كان .

واعلم أن مدلول لا إله إلا الله التزام بعبادة الله وحده لا شريك له ، والكفر بما يعبد من دون الله ، وهذا هو أصل دين الاسلام وقاعدته ، ولهذا كانت هذه الكلمة

كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام، والفارق بين المؤمنين والكافرين من الأنام ، وهذا هو قوله تعالى (إياك نعبد و إياك نستعين) و (أمر ألا تعبدوا إلا إياه) (وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) ولكن قد تلطف الشيطان فى التحيل والمكر والكيدة حتى أدخل الشرك وعبادة الصالحين على كثير ممن ينتسب إلى الاسلام فى قالب محبة الصالحين والتشفع بهم ، وأن لهم جاها ومنزلة يشفعون بها لمن دعاهم ولاذ بهم .

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الدعاء مخ العبادة » فلا يدعى غير الله فيما لايقدر عليه ، فتوحيد العبادة أن تخص جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده ، ومن أنواعها الاستعانة والاستغاثة ، والنداء فى الشدائد والرجاء واللجاء والنذر والنحر ، فلا يكون شيء منها الا لله وحده ، فمن يفعل شيئا من ذلك لمخلوق من حى أو ميت أو جماد فقد أشرك فى العبادة ، وصار من يفعل هذه الأمور الها لعابديه ، سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرا أو حجرا أو قبرا أو جنيا ، وصار بهذه العبادة ، أو بأى نوع منها عابدا لذلك المخلوق وان أقر بالله وعبده ، فإن اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك ، بل لا بد من الكفر بالطواغيت وكل ما يعبد من دون الله ، وقد قال الله عز و جل (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) .

اعلم أن كثيرا من الناس يسمون أنفسهم موحدين وهم يفعلون مثل ما يفعل جميع المشركين ، من دعاء الاموات والاستغاثة بهم والنذر لهم ، ولكنهم لا يسمون أعمالهم هذه عبادة . فيفسدون فى اللغة ، كما يفسدون فى الدين، وقد يسمونها توسلا وشفاعة ، ولا يسمون من يدعونهم من دون الله أو مع الله شركاء ، ولكنهم لايأبون أن يسموهم أولياء وشفعاء ، وانما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الأسماء ، ولو لم يكن منهم الا دعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات ، لكفى ذلك عبادة له وشركا بالله عز وجل ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ، رواه أبو داوود والترمذى وهذا يفيد حصر العبادة الحقيقية فى الدعاء ، ومن تأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء فى أكثر الآيات الواردة فى ذلك ، يعلم كما يعلم من

اختبر أحوال البشر فى عباداتهم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التى يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس ، ولا سيما عند الشدة ، وأما ما عدا الدعاء من العبادات فى جميع الأديان فكله أو جله تعليمى تكليفى يفعل بالتكلف والقدوة ، وقد يكون فى الغالب خاليا عن الشعور الذى به يكون القول أو العمل عبادة ، وهو الشعور بالسلطة الغيبية التى هى وراء الأسباب العادية ، أما ترى الى حافظ الأدعية الراتبة يحرك بها لسانه وقلبه مشغول بشىء آخر ، وانما العبادة جد العبادة فى الدعاء الذى يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس وهذا الدعاء الخالص الذى يغشاه جلال الاخلاص .

فإذا عرفت ما ذكرنا فاعلم أن المشركين الذين دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى الايمان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ، كما بين الله تعالى فى كتابه ، ولم يدخلهم ذلك التوحيد فى الاسلام ، بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن يقروا بتوحيد الالوهية ، وهو معنى لا إله الا الله ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، والكفار الجهال كانوا يعلمون أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالعبادة ، والتبرؤ مما يعبد من دون الله والكفر به ، فإنه لما قال لهم قولوا « لا إله الا الله » قالوا « أجعل الإلهة إلها واحدا ، إن هذا لشىء عجاب » .

وقد عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك ، فالعجب ممن يدعى الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشىء من المعانى ، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق الا الله ، ولا يدبر الأمر إلا الله ، فلا خير فى رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا اله الا الله وقد ذكر الله تعالى فى كتابه أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأنه كفرهم بتعلقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وهذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه .

وقد قال الله تعالى (قل يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم

أن لا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) الآية، أمر الله نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله ، الذى دعا العرب وغيرهم إليه ، والكلمة هى كلمة لا إله إلا الله ، ففسرها بقوله أن لا نعبد إلا الله ، فقوله أن لا نعبد فيه معنى لا إله وهى نفى العبادة عما سوى الله تعالى ، وإلا الله هو المستثنى فى كلمة التقوى والاخلاص، ومثل هذه الآية كثير يبين أن الالهية هى العبادة ، وأنه لا يصلح منها شيء لغير الله ، (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) وهذا توحيد العبادة ، وهو دعوة الرسل بأجمعهم ، إذ قالوا لقومهم (أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فلا بد من نفى الشرك فى العبادة رأسا ، والبراءة منه وممن فعله (إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون ، إلا الذى فطرنى) (لقد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم و بدا بيننا و بينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فأصل دين الاسلام إنما هو عبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك .

فمن قال لا اله الا الله ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر ، كدعاء الموتى والغائبين ، وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، والتقرب اليهم بالنذر والذبائح ، فهذا مشرك شاء أم أبى، لأن التحقيق الحق أن المعنى الكلى الجامع لكل ما ذكر فى تعريف العبادة ، هو أن العبادة كل عمل من أعمال القلب واللسان والجوارح يعده صاحبه قربة لمن له سلطان غيبى فوق ادراك العقل غير مقيد بالأسباب المسخرة للناس، فيستطيع أن ينفع أو يضر من غير طريق الأسباب التى ينفع أو يضر بها بعض الناس بعضا ، والاله المعبود هو صاحب هذا السلطان الغيبى ، سواء له من ذاته لذاته وهو رب العالمين كلهم ، وهو المعبود بحق ، أوكان له بما يعتقد من قربه من الرب تعالى ، وتأثيره فى ارادته بحيث يفعل الرب لأجله ، أو يمكنه من الفعل ، وهذا هو المعبود الباطل ، لأن الرب لا يشرك فى فعله ولا فى حكمه أحدا .

قيل للحسن البصرى رحمه الله تعالى ، ان ناسا يقولون من قال لا اله الا الله دخل الجنة ، قال من قال لا اله الا الله فأدى حقها وفرائضها ، وغالب من يقول لا اله الا الله

انما يقولها تقليدا ، و لم تخالط بشاشة الايمان قلبه ، فلا يعرف ماتنفيه وما تثبته ، ومن لايعرف ذلك يخشى عليه أن يصرف عنها عند الموت ، و فى القبور أمثال هؤلاء يقولون كما فى الصحيح « سمعت الناس يقولون شيئا فقلته » الحديث » .

قال الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب : ومن تحقق لا اله الا الله فى قلبه فعلامته أن لا يؤله القلب غير الله حبا ورجاء وخوفا وتوكلا واستعانة وخضوعا وانابة وطلبا ، وتحققه بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء هذا المعنى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ، قيل ما خلاصها يا رسول الله ، قال أن تحجزك عما حرم الله عليك . ولهذا قد ورد اطلاق الاله على الهوى المتبع قال الله تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) ولهـذا قد أطلق الشرك على كثير من الذنوب التى منشؤها من اتباع هوى النفس أو طاعة غير الله أو نحو ذلك ، وقد ورد « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم » فصار الدينار والدرهم معبوده و إلهه ، والذين حققوا قول لا اله الا الله فهم عباد الرحمن الذين قال الله فيهم (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) اللهم اجعلنا منهم بفضلك ومنك .

اعلم أن المشركين إنمـا قصدهم تعظيم الله تعالى ، وأنه لعظمته لا ينبغى الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك ، فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الرب جل جلاله ، و إنما قصده تعظيمه (بحسب زعمه) وقال إنما أعبد هذه الوسائط لتقربنى إليه وتدخلنى عليه فهو المقصود ، وهذه وسائل وشفعاء .

ثم ان الشرك شركان : شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك فى عبادته ومعاملته ، و إن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له فى ذاته وصفاته وأفعاله وهذا إنمـا يصدر غالبا ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله ، وهكذا حال أكثر الناس ، وهو الشرك الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النملة ، قيل فـكيف ننجو منه يا رسول الله قال قل « اللهم إنى أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم » رواه ابن حبان فى صحيحه .

قال الشيخ أحمد السرهندى فى المكتوب الثالث من المجلد الثالث من مكتوباته، لا إله إلا الله لا أحد يستحق الألوهية والمعبودية إلا الله الذى لا نظير له ، فان المستحق للعبادة التى هى عبارة عن كمال التذلل والخضوع والانكسار ، إنما ثبت لمن له جميع الكمالات وسلب عنه جميع النقائص، واحتاج اليه جميع العالم والأشياء فى الوجود وتوابع الوجود وهو ليس بمحتاج فى أمر إلى شىء أصلا ، وهو الضار النافع، لاشىء يقدر إيصال ضرر أو نفع إلى أحد إلا بإذنه ، و إشراك أحد فى عبادته جل وعلا بمجرد التوهم نهاية الخذلان والخسران ، فينبغى أن ينفى بتكرار لا إله إلا الله ، شريك وجوب الوجود وشريك استحاق العبادة ؛ بل الأهم الثانى نفى شريك استحقاق العبادة المخصوص بدعوة الرسل عليهم الصلوات والتسليمات فان المخالفين ينفون أيضا شريك وجوب الوجود بدلائل عقلية ، ولكنهم غافلون عن معاملة استحقاق العبادة ، لا يتحاشون عن عبادة الغير ، والشرك فى لسان الأنبياء من يكون أسيرا لعبادة غير الحق سبحانه ، فمن لم يتحقق بما قاله الأنبياء من نفى استحقاق ماسوى الله تعالى العبادة لا يتخلص عن الشرك ، ولا ينجو من شعب شرك عبادة الآلهة الآفاقية والأنفسية ، وهو المقصود من بعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وقد قالوا ان كل ماهو مقصودك معبودك، فمعنى لا إله إلا الله لا مقصود إلا الله ، كما أنه لا معبود الا الله ولا رب الا الله .

وفى المكتوب السابع عشر من المجلد الثالث أيضا ، ان الله هو الخالق الرب المنعم فيجب على العبد الشكر والعبادة . ولكن يجب كون الشكر والدعاء منحصرا فى إتيان أحكام الشريعة قلبا وقالبا واعتقادا وعملا ، وكل تعظيم وعبادة له تعالى يؤدى بما وراء الشريعة لايكون قابلا للاعتماد ، بل كثيرا ما يكون محصلا للاضداد ، والحسنة المتوهمة تكون سيئة فى الحقيقة ، فاداء شكره تعالى متعذر بدون الاتيان بها ، والشريعة لها جزءان اعتقادى وعملى ، فالاعتقادى أصول الدين والعملى من فروعه ، وفاقد الاعتقاد ليس من أهل النجاة ، وفاقد العمل أمره مفوض الى مشيئة الله عز وجل ، فشرط صحة الايمان عدم اشراك شىء بالله تعالى ، لا فى وجوب الوجود ولا فى استحقاق العبادة ومن لم يكن عمله مبرءا عن شائبة الرياء والسمعة ، ومظنة طلب الأجر من غير الله

تعالى ، ولو بالقول والذكر الجميل فليس هو بخارج عن دائرة الشرك ، ولا هو بموحد مخلص ، ولتعظيم مراسم الشرك ومواسم الكفر كلها قدم راسخ فى الشرك ، والمصدق للدينين من أهل الشرك ، والمتشبث بمجموع أحكام الاسلام والكفر مشرك ، والتبرؤ من الكفر شرط الاسلام ، والاجتناب عن شائبة الشرك توحيد ، والاستمداد من الأصنام والطواغيت « والأرواح والأموات » فى دفع الأمراض والأسقام كما هو الشائع فيما بين جهلة أهل الاسلام عين الشرك والضلالة ، فيكفرون من حيث لايشعرون ؛ ونذر الحيوان للمشايخ ، وذبحه عند قبورهم داخل فى الشرك ، ولا يجوز اشراك أحد به تعالى فى عبادة من العبادات ، وطلب الحاجات من غير الله عين الضلالة ، وتسويل الشيطان الرجيم الخ .

قال المعصومى نعم ماقال فى هذه المقالة ، وقد أتى هنا بالحق الصريح الذى ليس وراءه الا الضلال ، ولكنه أخطأ فى كثير من المواضع تقليداً لمشايخه وحفظا لشئون طريقته وصار سببا لخطأ بل ضلال كثير ممن انبعه من بعده من أهل طريقته، كاستمداده من أرواح مشايخه، وروحانية أسلافه، وأمره مريديه بالذكر باللفظ المفرد« الله الله » وأمره بالمراقبة ومرابطة صورة الشيخ فى خياله وقلبه ، واختراعه اللطائف الخمس: القلب والروح والسر والخفى والأخفى ، وأمر المريد بالملازمة بالذكر الخاص بكل واحدة منها إلى غير ذلك من الترهات التى قد بينتها فى كتابى «أوضح البرهان فى تفسير أم القرآن» فعليك به ان أردت التحقيق ، وبالله التوفيق .

فقد ثبت ثبوتا بينا أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة ، ومفتاح دار السلام ، لكن بشرط كونها خالصة مخلصة ، فلا بد أولا من الكفر والتبرىء من كل الآلهة الآفاقية والأنفسية ، ثم إثبات الواحد الأحد المعبود حقا ، وأهم مانفته هذه الكلمة استحقاق العبادة لغير الله نفيا كليا ولأجل هذا أرسلت الرسل ، وجردت السيوف ، ومن لوازمها العمل بكل ماجاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقتضى هذه الكلمة بلا تغيير ولا تزييد ، فمن المنفى الربوبية والخالقية فلا رب إلا الله ولا خالق الا الله ، فمن اعتقد أن الملائكة أو الأرواح تربى تربية بسلطة غيبية فقد أشرك بالله فى الربوبية

والخالقية ، كما هو حال كثير من جهلة القبوريين والطرقيين ، ومن المنفى القدرة والقادرية ، فلا قدرة لأحد ولا قادرية أصلا ، فلا قادر إلا الله ولا قدرة لأحد الا بالله ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، فمن اعتقد أن الملائكة أو الأرواح تقدر على شيء بنفسها فقد أشرك بالله فى صفة القدرة والقادرية .

ومن المنفى التصرف فى الكون والاحياء والاماتة ، فلا متصرف فى الكون الا الله ولا محيي إلا الله ، ولا مميت إلا الله ، فمن اعتقد أن الملائكة أو الأرواح تتصرف فى الكون أو تحيي أو تميت فقد أشرك بالله،ومن المنفى الحكم والتحليل والتحريم،فالحاكم الحق حقيقة هو الله وحده ، وهو المشرع وحده ، وهو المحلل وحده ، وهو المحرم وحده فلا حاكم إلا الله ، ولا مشرع إلا الله ، ولا محلل إلا الله ، ولا محرم إلا الله ، فمن حكم بحل شيء لم يحله الله ، أو حكم بحرمة شيء لم يحرمه الله ، أو شرع مالم يأذن به الله ، فقد أشرك بالله ، ومن المنفى العبادة والمعبودية ، وهذا هو الأصل الذى أنزلت هذه الكلمة لأجله ، وأرسلت الرسل لأجله ، فلا معبود حقا إلا الله ، ولا يعبد حقا إلا الله بأى نوع من أنواع العبادة .

وبالجملة ان الدين قد أكمل وتمم وبين تمام التبيان ، من طرف رسول الله الذى بعث إلى كافة الانام من الانس والجان بالحق والهدى ، فالزيادة على ذلك ضلال أى ضلال ، وخسران أى خسران ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، فمن قالها لفظا ولكنه غير معناها ، وأفسد تفسيرها ، وعبد غير الله فقد أتى ببهتان ، فلا شك أنه يصير من أهل الخسران فتنبه .

ومن إكمال لا إله إلا الله ، وإتمام شرح هذه الكلمة ، أسماء الله الحسنى التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة ، أى أتى بها عالما بمعناها ، ومؤمنا بمنطوقها ومفهومها ، ومعتقدا معناها دخل الجنة ، لأن هذا الشخص يكون مؤمنا موحدا ، وعارفا بصفات الله عز وجل ، ومن هذا صفته فلا شك أنه من أهل الجنة ، لأنه لايعبد إلا الله ، ولا يدعو إلا الله ، ولا يسأل إلا الله ، ولا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا الله ، ولا يعتمد ولايتوكل

إلا على الله ، ويرى الله تعالى دائما معه سميعا بصيرا رقيبا مجيبا ، ولا يعبده إلا بما شرعه فهذا هو المؤمن المخلص الذى يحفظه الله تعالى من وساوس الشيطان ، بل لايستطيع الشيطان أن يغويه ويضله ، كما أخبر الله تعالى فى كتابه (لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلا) وفى سورة النحل (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، إنما سلطانه على الذين يتولونه ، والذين هم به مشركون) فنسألك اللهم أن تحفظنا من شر الشياطين ، شياطين الانس والجن ووسوستهم ، وتعيذنا منهم بفضلك ومنك وكرمك ، فإنه لاحول ولا قوة إلا بك ، فاللهم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

قال جامع هذه الوريقات أبو عبد الكريم محمد سلطان المعصومى الحجندى مولدا والمكى مهاجراً وموطنا ، إنى فرغت من تحرير ما ألهمنى الله تعالى من شرح مفتاح الجنة لا إله إلا الله ، فأسأل الله تعالى أن يميتنى على هذه الكلمة ، ويجعلها وردى وزادى وغذاء قلبى وروحى ، ويوفقنى للعمل والاعتقاد بمقتضاها من غير تبديل ولا تحريف ، ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

وكان ذلك ضحوة يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٦٣ فى دارى المملوكة لى الكائنة فى زقاق البخارية من حارة المسفلة من مكة المكرمة قريبا من المسجد الحرام حرسه الله تعالى إلى يوم القيام .

تم بعون الله

فهرس

رسالة مفتاح الجنة لا إله إلا الله

الصفحة	الموضوع
٣	إن معيار مفتاح الجنة مبين مقرر وهو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .
٤	سبب دخول البدع والشرك فى الدين .
٥	خلط المسلمين علوم المجوس والمشركين بعلوم أهل الاسلام .
٥	سبب دخول التصوف وعلم الباطن فى دين الاسلام .
٦	لا يجوز الزيادة على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين والعبادة .
٧	الواجب على العبد أن يعبد ربه كما أمر .
٨	الايمان بضع وسبعون شعبة ، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان .
٩	إن كلة التوحيد هى الكلمة الجامعة الكافية الوافية .
١٠	حكم من زاد فى الدين ، وتفرق أهل الاسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة .
١١	قصة حصين أبو عمران ، وعبادته سبعة آلهة ، ومشاهد الأولياء .
١٣	لا يجوز لأحد أن يقول هذا فرض أو سنة إلا بدليل شرعى .
١٣	والمنافقون يقولون لا إله إلا الله مع أنهم فى الدرك الأسفل من النار .
١٤	توحيد الربوبية لا ينفع بدون توحيد الألوهية .
١٥	لا بد من الكفر بالطاغوت قبل الايمان بالله ، وأنواع العبادة .
١٦	قصة شجرة ذات أنواط ، وتعليق الخرق على الأشجار .
١٨	كل عابد يكثر من ذكر معبوده إذا قام وإذا قعد .
١٨	من لا يعرف الشرك يقع فيه وهو لا يشعر ، وأن مبنى العبادة على الاتباع .
١٩	حديث إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله .
٢٠	فصل مهم وتنبيه مفيد ، إن العبادات أشكال وأنواع ، كما أن الاقفال أشكال .

obeikandl.com

الصفحة	الموضـــوع
٢١	العبادات دواء من تركيب الحكيم العليم الخبير .
٢١	فمن ركب الادوية من هوى نفسه ربما أهلك نفسه وضر غيره .
٢١	الأوراد البدعية ، والاحزاب المخترعة .
٢٢	معنى لا إله إلا الله ، لا معبود بحق إلا الله . ومعنى الإله ، والعبادة .
٢٣	والمريض ما دام مريضا لا ينفعه الغذاء إلا بعد إزالة المرض ، والتخلية مقدمة على التحلية .
٢٤	تحقيق معنى العباد والعبادة .
٢٥	الدعاء مخ العبادة .
٢٦	المشركون مقرون بتوحيد الربوبية ، وإنما كفرهم فى توحيد العبادة والألوهية .
٢٧	من الشرك الاكبر دعاء الاموات والأرواح والغائبين .
٢٨	المشرك إنما قصده تعظيم الله وإجلاله ، والشرك نوعان .
٢٩	تقريرات الشيخ أحمد السرهندى فى معنى لا اله الا الله ، ثم خطئه فى طريقته .
٣٠	لا بد من معرفة المنفى والمثبت من لا اله الا الله .
٣١	ان أسماء الله الحسنى متممة لمعنى لا اله الا الله .

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن كثيراً من العلماء السلفيين المعاصرين اطلعوا على هذا التأليف حين الجمع فاستحسنوه ووافقوه ، كرئيس القضاة الشيخ عبد الله بن الحسن آل الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ، والشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، والشيخ أبي السمح محمد عبد الظاهر إمام وخطيب المسجد الحرام وغيرهم ، فكلهم قرظوه ، فمن جملة ذلك ما كتبه الشيخ أبو السمح عبد الظاهر بخط يده :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه ومن والاه . وبعد فقد اطلعت على رسالة الأستاذ العلامة الشيخ محمد سلطان المعصومي الخجندي الموسومة (بمفتاح الجنة لا إله إلا الله) فألفيتها رسالة قيمة نافعة في التوحيد شارحة معنى لا إله إلا الله ، كما ينبغي فعلى الناصحين لأنفسهم الحرص عليها ومذاكرتها وتكرارها ، فقد جمعت من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ما فرق في مواضع كثيرة ، أكثر الله من أمثال مؤلفها ، وأعانه على تأليف مثلها ونفع بها ، إنه قريب مجيب ، ولا ريب أن الأستاذ بتأليفه هذه الرسالة وما تقدمها قد قام بواجب النصيحة لله و رسوله ودينه وأمته فجزاه الله أحسن الجزاء « آمين » وكتبه أبو السمح عبد الظاهر محمد امام الحرم المكي وخطيبه ومدير دار الحديث في ٣/٣/١٣٦٣ .